ظهور الشيعة وانتشارهم

<"xml encoding="UTF-8?>

إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو الذي أظهر مصطلح (الشيعة) وأصَّلَه وجذَّره في وعي الأمة ووجدانها .

فقال أبو حاتم الرازي : (إن أول اسم لمذهب ظهر في الإسلام هو الشيعة ، وكان هذا لقب أربعة من الصحابة : أبو ذر ، وعمار ، والمقداد ، وسلمان) الزينة ٣ / ١٠ .

وقال الخونساري : (اختص باسم الشيعة أولاً سلمان الفارسي ، وأبو ذر الغفاري ، ومقداد بن الأسود ، وعمَّار بن ياسر ، في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) لملازمتهم علي بن أبي طالب (عليه السلام) روضات الجنات / ٣٣٤ ط بيروت .

وقال جابر بن عبد الله الانصاري : كُنَّا عند النبي (صلى الله عليه وآله) ، فأقبل علي (عليه السلام) ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) : (والذي نفسي بيده ، إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة ، فنزل قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيرُ البَرِيَّةِ) البيِّنة : ٧ (تاريخ ابن عساكر ٢ : ٤٤٢ ط بيروت / ترجمة علي (عليه السلام)) .

وعلى كل حال ، فكان في زمن النبي (صلى الله عليه وآله) جماعة يتشيعون لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) أقَرّهم وأيَّدهم النبي (صلى الله عليه وآله) ، ورضي عنهم ووعدهم بالفوز يوم القيامة .

ثم ظهر التشيع لعلي (عليه السلام) عند حدوث الاختلاف في أمر الخلافة يوم وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) ، فتشيَّع يومئذ لعلي جميع بني هاشم وبني عبد المطلب ، وانظمَّ إليهم الزبير بن العَوَّام ، وثلاثة عشر من المهاجرين والأنصار ، فأرادوا علياً (عليه السلام) للخلافة .

وقيل أن مجموعهم لم يبلغ الأربعين ، حتى أنه روي عنه (عليه السلام) أنه قال : لو وجدت أربعين رجلاً لقاتلتهم.

وقيل بل كانوا سبعمائة من أكابر الصحابة ، وهذا إن صحَّ فالمانع له عن الطلب والقتال إما علمه بأنهم لا يثبتون

معه على القتال ، أو إتِّقاء الفتنة في زمان عدم استقرار الدين .

ثم ازداد عدد الشيعة في صدر الإسلام شيئاً فشيئاً حتى بلغوا ألفاً أو أكثر ، وبعد نَفي أبي ذر إلى الشام تشيَّع منها جماعة بسببه ، ولما رأى معاوية ذلك أخرجه إلى القرى بعيداً عن مراكز المُدُن وجماهير الناس ، فوقع في جبال بني عاملة فتأثروا فيه وتشيعوا بسببه .

ولما وقعت الفتن في الإسلام وقُتل عثمان ، ووقعت حرب الجمل ، ثم صِفِّين ، ثم النَهرَوَان ، كان أبا ذر أكثر الصحابة مع الإمام علي (عليه السلام) ومن أشياعه ، وأفراد منهم مع معاوية ، وقليل اعتزل الفريقين .

ثم جعل الإمام علي (عليه السلام) عاصمته (مَحلُّ خِلافَتِهِ) الكوفة ، فتشيع كثير من أهل الكوفة والبصرة وما جاورهما ، ثم أخذ الإمام علي (عليه السلام) يرسل عُمَّاله وشيعته إلى الأمصار المختلفة ، وذلك لتفقيه الناس بأمور دينهم وتدبير أمورهم .

فكان في مكة ، والمدينة ، والطائف ، واليمن ، ومصر ، كثير من الشيعة ، مضافاً إلى من في العراق وفارس ، بل كان معظم أهل اليمن شيعة لعلي (عليه السلام) ، ولا زال لحد الآن الكثير منهم على مذهب زيد الشهيد ، ويُسَمَّوْنَ بـ (الزيديَّة) ، كما يوجد عدد كثير من الشيعة الإمامية الإثني عشرية في مصر ، وقسم كبير منهم يُسَمَّوْنَ بـ (العَلَوِيَّة) .

ولما قتل الإمام الحسين (عليه السلام) استعظم أكثر المسلمين ذلك ، حتى أن بعض الأمويين تَنَبَّهُوا لفضل أهل البيت (عليهم السلام) وما أصابهم من الظلم ، إضافة إلى أعمال بني أمية اللاَّدينية ، وفسقهم العلني في زمن يزيد وغيره ، فارتدَّ قسم كبير من الناس عن بني أمية .

وهكذا كثر عدد الشيعة في التابعين وتابعي التابعين كثرة مفرطة ، وما زال عدد الشيعة يزداد حيناً فحيناً إلى أواخر الدولة الأموية ، فظهرت شيعة بني هاشم من العلويين والعباسيين بشكل واضح ونتيجتها وَلَّدَت الدولة العباسية .

وفي زمن الدولة العباسية كثرت شيعة العلويين في الحجاز ، واليمن ، والعراق ، لا سِيَّمَا في الكوفة والبصرة ، وفي مصر وخراسان وسائر بلاد فارس .

ورغم الخوف والاضطهاد لأهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم في زمن الدولة الأموية والعباسية ، وحُبُّ السلاطينَ للمال والجاه والسلطة ، اضطرَّ أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم للتستُّر والاختفاء .

فكتم أهل البيت (عليهم السلام) علومهم إلا عن خواص أصحابهم ، لأن الملك عقيم ، والناس على دين ملوكهم ، وحب المال والجاه والرئاسة أمر مجبولة عليه النفوس .

ورغم كل ذلك فقد ازداد عدد الشيعة وظهر أمرهم كلما قَلَّ الضغط والاضطهاد ، وخاصة في أواخر الدولة الأموية ، وبداية الدولة العباسية ، ففي عهد السفَّاح والمنصور اشتهر مذهب أهل البيت (عليهم السلام) وانتشرت مدرسته عند الناس ، وخاصة في عصر الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) ، ولذلك نسب مذهب أهل البيت

إليه (عليهم السلام) فقيل المذهب الجعفري .

هكذا انتشر التشيع في الأمة حتى سرى إلى الملوك ، فَمَالَ إليه من ملوك بني أمية معاوية الأصغر (الثاني) .

ومال إليه وناصَرَهُ عمر بن عبد العزيز ، كما أن المأمون من بني العباس تظاهر بالمشايعة لعلي وولده (عليهم السلام) ، وجعل الإمام الرضا (عليه السلام) ولي عهده ، وقد اختلفت الأسباب الحقيقية لهذا الأمر ، وكان بعده الإمام الناصر من بني العباس شيعياً ، وكذلك الملك علي بن صلاح الدين الأيوبي ، وكبراء وزراء بني العباس وكتابهم .

ولما خرج الإمام الرضا (عليه السلام) إلى خراسان في زمن المأمون تشيَّع كثير من أهلها ، إضافة إلى ما كان فيها من الشيعة .

وعند حدوث الضعف في الدولة العباسية ، وخروج أكثر أمصارها عن أيديهم ظهرت الدولة البُوَيهِيَّة في العراق ، وفارس ، والدولة الحمدانية ، في دمشق وحلب والموصل ، والدولة الفاطمية ، في مصر والشام والحجاز وأفريقيا ، فانتشرت الشيعة في هذه الأماكن وكثرت كثرة مُفرِطَة .

وما زال التشيع ينتشر ويَقِلُّ ، ويظهر ويختفي ، ويوجد ويُعدَم ، في بلاد الإسلام ، حسب تعاقب الدول الغاشمة وتشددها وتساهلها مع الشيعة ، حتى أصبح عدد الشيعة اليوم في أنحاء المعمورة ما يقارب ربع المسلمين أو أكثر من ذلك .